إلى جَميع أصدقائِي على مَواقِع السّوشَل ميديا.. وكلِّ من يُتابعُ مَسيرَتي الأدَبيَّة.

الطّبعة الرَقميَّة الأولى، كانون الثاني ٢٠١٨

.

عندما يدخلُ الثَّأرُ منَ الباب..
تخرُجُ العدالة منَ المِدخنـة.

مثل تـُركي

كلـَّما أسَاءَ إليَّ أحَدٌ..
أحاولُ أنْ أرفعَ روحي عاليًا،
بحَيثُ لا تستطيعُ الإساءَة أن تصِلَ إليها.

رينيه ديكارت

الثَّأر!

أتُراها فكرَةٌ سلبيَّة أم ايجابيَّة؟

أهوَ خَيرٌ أم شَرّ؟!

هل يَجوزُ الانتِقامُ أم لا؟! وهل هناكَ أنواعٌ منَ الانتِقامِ حَلال.. وأنواعٌ أخرى حَرام؟ ولو طُرحَتِ القضيَّةُ فلسَفيًّا سيَطلعُ لنا حتمًا وجهاتُ نَظَر مُختلفَة! وكذلكَ للدِّينِ رأيُهُ.. وربُّمَا آرَاؤه، والمُحلِّلون النَّفسيُّون أيضًا والاجتِماعيُّون لديهم تَحليلاتٌ شَتَّى حَولَ مفهوم الثَّأر. ومثل أيِّ آيديولوجيا أو نظريَّة.. فلكلِّ إنسانٍ أوتيَ الحَدَّ الأدنى منَ الثقافةِ تفضيلاتُهُ وتَقييماتُه الشَّخصيَّة في هذه الأطروحَةِ الغامضَة. الأخلاقُ لا تحسمُ، والضَّميرُ نِسبيٌّ، والموروثُ القيَمِيُّ عاجزٌ، والدِّينُ في شَتَات.. وإذًا فِكرَةُ الانتِقامِ حَظيَّةٌ هاربةٌ في براري النِّسبيَّةِ والذَاتيَّة. والذي يَظنُّ أنَّ الثّأرَ قيمَةٌ وعُرْفٌ بدائيّ من بناتِ الذِّهنيَّةِ القَبَليَّةِ هو مُخطئ! الثأرُ حاضرٌ في يوميّاتِنا الآن حضورَ الرُّوحِ في الجسَد. هو سُكَّرُ قهوَتِنا، وزَيتونِ مائدَتِنا، ومازَةُ جَلسَاتِ لذَّتِنا، وربطةُ عنقِ وَجَاهَتِنا، وتَوابلُ طبَخاتِ أحقادِنا، وإيتيكيت موائدِ جَشَعِنا، ودبلوماسيَّاتُ ريائيَّاتِنا التي نلوكُها كلَّ يَوم لعنةً مزمنةً لا خلاصَ منها إلاّ بإذنِه تعالى. وهذا الكلامُ رأيٌ هو الآخرُ في المَوضوع. ألا نسمعُ في الرّياضَة مثلاً "هذه مباراَةُ ثأر"؟ أو في السِّياسَةِ، وهذا مُخيفٌ ومُعيبٌ في آنٍ معًا،

"نحتَفِظُ بحَقِّ الرَدِّ في الوَقتِ الذي نراهُ مناسبًا"؟ وقِسْ على ذلِكَ في الاقتِصادِ والفنِّ والابداع. وللحُبِّ كذلِكَ انتِقامَاتُهُ الدَّاميَة المُخيفَة! والمُضحِكُ المُبكي أنَّ حُكمَ الجَريمَةِ الثأريَّةِ أخفُّ من العاديَّة، كأنَّ الثأرَ صنوٌ للدِّفاعِ عنِ النَّفس! وثعبانُ الفِكرةِ الانتِقاميَّةِ مُختبئٌ في جُحورِ صِراعاتِ حياتِنا الذَاتيَّة.. وحيثُ هناكَ صِرَاعٌ يمدُّ الانتقامُ رأسَه باحثًا عن فريستِه. الموظّفون يتصارعون، السِّياسيّون يتصارعون، الإعلاميّون يتصارعون، الفنّانون يتصارعون، العُشَّاق يتصارعون.. وإذًا فالثّأرُ صَنَمٌ عَصريٌّ حَديث، والذي لا يَثأرُ مُبتدِعٌ مارقٌ جَبان. وقد يُفضِي الصِّراعُ إلى الثأر حينًا، أو يُنجِبُ الثّأرُ صِراعًا أحيانًا.. بل طابورًا منَ الانتِقاماتِ المُتبادَلَة، والصِّراعُ كرَةُ ثَلجٍ بالتَّمام، فيَعلقَ الطَّرَفانِ في دَوَّامَةِ الغريزَةِ الانتِقاميَّة، وجَحيمِ الأفعالِ وردُودِها.. ولا منقِذَ من هذا الجَحيم بغيرِ صَليبِ القرارِ والإرادَة.

وقد يكونُ أشَرُّ ثأرٍ ثأرُ الحُبّ.. وأثأرُ حُبٍّ هو حُبّ المَرْأة!

يثأرُ المَرءُ لعَزيزٍ أو قريبٍ قُتِل. يثأرُ إذا سرقَ عدُوٌّ جَنَى العُمر. يثأرُ واحِدُهم إذا غُلِبَ في منافسةٍ ما فنيَّةٍ أو رياضيَّةٍ أو إعلاميَّة. ويثأرُ اقتصاديٌّ إذا خسِرَ صَفَقةً جُيِّرَتْ لحِسابِ غريمٍ قديم. وأمَّا الانتِقامُ في الحُبّ فيَصُحُّ فيه كلامُ الرِّوائِيّ أحمد الفخراني: "الانتقامُ هو المسَاحَةُ الوَحيدَة التي لا يُمكنُ التَّنَبُّؤُ فيها بمَدَى خيالِ الإنسان".

*****

روجين آتشي

خرَجَتِ الفتاةُ التُّركيَّةُ الجَميلة من بَيتِ سيِّدِها فارس الرَّاسِي في جونيه، حاملةً في أحشَائِها ثمرَةً أثيمَة.. جَنينًا في شُهُورِهِ الأولى من غيث الرّاسِي ابن فارس، وبعدَ غرامٍ جانحٍ عاصفٍ مَجنون. رأى فيها والِدا غيث لطخَةً لتاريخِ العائِلَة ومُدَنِّسَ لسُمْعتِها الطيِّبَة. تكلَّمَ فارس معَ روجين بنَبرَةٍ حازمَة، وأعطاها نقودًا منَ العُمْلَةِ اللُّبنانيَّةِ ما يُساوي ٨٠٠ دولارٍ في أيَّامِنا هذه، وقالَ لها:

– إحزِمي أغراضَكِ يا روجين وأخرُجي من هذا البَيتِ بصَمت. لا أريدُ ضَجيجًا ولا "شوْشَرَة".. واليَومَ قبلَ الغَد.

وأمَّا الفتى الكازانوفا الجذّاب غيث، وهو بَطَلُ الفَتحِ العَبَثيِّ هذا، فبَقيَ في نَظَرِ والِدِه فارس قدّيسًا، ورَجُلاً شُجاعًا قادرًا على رُكوبِ وترويضِ المُستَحيل.

ثمَّ كانَ أن حَزَمَتْ روجين مَتاعَها مُذعنَةً لحَظِّها السيِّئ، وهي العاجزَة لا تملكُ سلاحًا تحاربُ به، ونزلَتْ منَ البنايَةِ في اليَومِ التَّالي، حاملةً جَنينَها وحَقيبَتَها، قبلَ بزوغِ الشَّمس كي لا يراها أحَد، ومَشَتْ نحوَ الطَّريقِ العامّ. ولم يَطُلِ انتِظارُها فاستوقفَتْ سيَّارَةَ أجرَةٍ، وقالت لسائِقِها:

– أوصِلني من فضلِك إلى الدَّوْرَة.

وحَمَلَتها السيَّارَةُ إلى الدَّورَة، وألقَتْها في نقطَةٍ ما على رينغِ الدَّائِرَة. نزلَتْ قرْبَ فرنِ المناقيش وتناولَتْ منقوشةً معَ عبوَةِ لبَن، ومن هناكَ استقلَّت سيَّارَةَ أجرَةٍ أخرى إلى ساحَةِ الشُّهَداء، ثمَّ سيّارَةً ثالثةً إلى الشيَّاح غَربيِّ العاصِمَة.

كانتْ روجين قد أمضَتْ ليلَتَها باكيةً في مُخدَعِها في بيتِ فارس الرّاسي، والمُغامِرُ غيث أقصِيَ هو الآخر عَنْ مَسرَحِ المُغامرَة، ولا تعرفُ أينَ هو لتطلبَ مُساعدَتَه! فقرَّ رأيُها في نِهايةِ المَطاف أن تذهبَ إلى صديقَتَينِ قديمَتَين تكبُرانِها بسنوات، فتاتَين فلسطينيَّتَين في بيروت، كانتا وَحيدَتين عازبَتَين أيَّامَ مَصنع الألبسَة. وكانتِ الفلسطينيَّتان أيضًا تعطِفانِ عليها في بدايةِ العاصفَة في بيروت، وتهتمَّانِ لأمرِها كثيرًا. المصنعُ أفلسَ وأقفِلَ منذ سنَتَي الحَربِ الأوليَين، وهي لا زالتْ تذكرُ مكانَ إقامتِهما في الشيَّاح كطَيفِ مَنام، وليسَ أمامَها إلاّ أن ترميَ الحجَرَ في البئر وأنْ تُحاول. أنزلَها السَّائِقُ عندَ المنعَطَفِ الكبير بعدَ أن عبَرَ بها في مخاضَةِ شارعٍ ضَيِّقٍ طَويل، تكادُ الألبسَةُ المَنشورَةُ على الشُّرُفاتِ وشماسي مداخلِ المتاجرِ والدَّكاكينِ أن تلامسَ السيَّارَةَ ورؤوسَ المارَّة. نقدَتِ الرَّجُلَ مالَه، وراحَتْ تسبُرُ أغوارَ الأزقَّةِ والمُنعَطفات، تسألُ الأولادَ وأصحابَ المتاجر حينًا، وتستَنهضُ ذاكرَتَها القلِقَةَ أحيانًا، إلى أن وصلَتْ إلى البنايةِ المَنشودَة. دَخلَتْ من فَورِها إلى الدُكَّان.. وقالتْ للرَّجُلِ السَّمينِ الجَالس على كرسيٍّ خَشبيٍّ بيُسراه سيكارةٌ يتداعى رمادُ نِصفِها، ويُمناهُ تمَسِّدُ شاربَه المَعقوف:

– صباح الخير يا مُعلِّم.

– يا صباحَ النّور. أجابَها وناظراهُ مُنجَذبانِ إلى بَطنِها وحَقيبَتِها. المَشهَد لافت! أليسَ لهذه المرأة زَوجٌ وأولاد مَثلاً؟ تأمَّلَ ملامِحَ هذا الوَجْهِ الجَميل وحاولَ أن يتذكَّر. بقيَ صامِتًا، وسألتهُ روجين:

– هلِ الفتاتان ليلى ونُهاد تَسكُنان في هذِه البناية؟

فأجابَها:

– وإلى أينَ ستَذهَبان؟ إنّهما في الطّبقَةِ الثّانيَة.

– شكرًا لكَ يا سيِّدي.

خرَجَتْ من عندِهِ، ومدَّتْ يدَها لتفتَحَ بوَّابَةَ بيتِ الدَّرَج الحَديديَّة.. فوثبَ وراءَها وقالَ لها:

– ليلى ونهاد لن يأتيا قبلَ السَّاعةِ الرَّابعَة بعدَ الظُّهر.. هما في الشُّغل الآن.

فوقفَتْ مكانَها تفكِّرُ في ما عساها أن تفعَلَ في وَقتِ الانتِظار. قالَ لها الرَّجُل:

– بإمكانِكِ أن تنتظريَهما عندي في الدّاخل أو هنا تحتَ الشَّمسيَّةِ لو أرَدْتِ.. وأحضِرُ لكِ الكرسِيَّ فتستريحي.

فقالت له:

– أنا حقًّا بحاجَةٍ إلى كرسِيّ.. شكرًا لكَ يا سيّدي.. أطالَ اللهُ عمرَك.

وهكذا جلسَت خارجَ الدُكّانةِ على الرَّصيفِ تحتَ الشَّمسيَّة حتى عبرَ نصفُ النَّهار. ثمَّ اقتربَ منها الرَّجُلُ ثانيةً وسألها:

– أنا لم أرَكِ من قبل.. أنتِ قريبَةٌ أم صَديقة لهما؟

– صَديقة قديمَة، أجابَت روجين. وأضافتْ بسؤال:

– أريدُ أن أسألَكَ.. يبدو أنَّ ليلى ونُهاد ما زالتا عازبَتَين؟!

– بلى. أجابَ الرَّجُلُ السَّمين.

وفيما هما يتحادَثان.. توقَّفَتْ سيَّارَة BMW قدّامَ الدُكَّان، ونزلَ شابٌّ في عشرينيَّاتِه جَريءُ النَّظرات، واتَّجَهَ نحوَ البوّابَةِ الحديديَّة، وشالَ بناظرَيهِ إلى اليَمين نحوَ الرَّجُلِ صاحبِ الدُكَّان وروجين، كأنَّهُ تذكَّرَ أمْرًا ما، وقال:

– مرحَبا مْعلِّم خليل.

– أهلاً مروان. أجابَ الرَّجُلُ السَّمين.

– هاتِ رَبطَةَ خُبز من فضلِك.

وتعثَّرَتْ عَيناه بمَشهَدِ روجين جالسةً على الكُرسيِّ وبَطنِها وَحَقيبَتِها.. وجَمالٍ منَ النَّوعِ الذي يختلطُ فيه سَمارُ البشَرَةِ الشَّرقيَّة بعَينَينِ مُلوَّنَتَين أوروبيَّتَين ساحرَتَين. ولكنَّ روجين قرأتْ في نظراتِ هذا الشَابّ مروان ما استَحضرَ من Recycle bin ذاكرَتِها جرأةَ وعبَثيَّةَ عَينَي غيث الرَّاسي.. ولكن مع فارقٍ كبيرٍ هذه المرَّة.. نظرات غيث كانتْ تهزُّها وتُطربُها، ونظراتُ مروان هذا جعلَتْها تشعُرُ بالغَثَيان. والتَّجربَةُ العاطفيَّة الأولى الفاشلة، دائمًا أبدًا، تُطلقُ موجَةً نفسيَّةً سلبيَّةً نحوَ الحُبِّ بَعيدَةَ المَدَى.. لا تنتهي إلا بمرور سنواتٍ طويلة. وكلَّما كانَ الجُرحُ أعمَقَ كانَ مِقدارُ النَّزيفِ أكبَر.

ودخلَ مَروان وراءَ المْعلِّم خليل ليشتريَ حُزْمَتَي الخُبز. قالَ له المعلّم خليل:

– هذه المَرْأةُ جاءَتْ تسألُ عن ليلى ونُهاد.. وهي تنتظرُهما هنا ريثما تأتيان.

وقالَ مَروان لِلرَّجُلِ السَّمين:

– كم هيَ فاتنَة!

ثمَّ أخذَ الخُبزَ وخرَجَ وقالَ لرُوجين:

– أنا أسكنُ في هذِهِ البناية في الطّبقَةِ الثّالثة.. هل بمَقدوري أن أخدُمَكِ بشَيْءٍ سيِّدَتي؟

فأجابَت روجين باقتِضاب، ولم ترفَعْ عَينَيْها إليه:

– لا. شُكرًا لك.

فتركَها خائِبًا وصعدَ إلى شقَّتِهِ في البناية.

ثمَّ عادَ صاحبُ الدُكَّان وسألَها:

– ألسْتِ جائعَةً؟ هل تأكُلينَ شَيئًا؟ فأجابَتْ ثانيةً باقتِضاب:

– لا شكُرًا لكَ يا مُعلِّم خَليل.. أنتَ لطيف.

ثمَّ غابَ لعشر دقائِق في دُكَّانِه.. وخرَجَ ثانيةً وفي يدِهِ عَبْوَةٌ من المَشروب الغازيّ، وقالَ لها:

– إشرَبي هذه.. واسنِدِي روحَكِ.

فأخذَتْها منه شاكرةً. ولم تَمضِ ربع ساعَة حتى توقَّفَتْ سيَّارَةُ أجرَةٍ أمامَ البَّوابَةِ الحَديديَّة، ونزلَتْ منها امرأةٌ ثلاثِينيَّةٌ واتَّجَهَتْ نَحوَ البَوَّابة. عرفَتْ روجين المَرأةَ بسُهُولة:

– مرحبا ليلى!

وأدارَتْ ليلى رأسَها نَحوَ الصَّوتِ الذي سمِعَتْهُ.. واقتربَتْ من روجين تُنعِمُ نظرَها في هذا الوَجهِ المَليح، ومَشهَدُ البَطنِ المُنتفِخِ والحَقيبَةِ بجَانبِها جذَبَ انتِباهَها هي الأخرى. وقفَتْ روجين وقالت:

– ليلى أنا روجين آتشي.. هل تذكرينَني؟!

– روجين!! صرخَتْ ليلى والدَّهشةُ تشُدُّ حوَافَّ وَجهِها. وسألتْ:

– روجين الفتاة التُّركيَّة أيَّامَ المَصنَع؟!

– هيَ بذاتِها يا ليلى.

وتعانَقتِ الفتاتان بحَرَارَة. قالتْ ليلى:

– أنتِ حامِل يا روجين؟ ما شاءَ الله.. تزوَّجتِ إذًا؟! قالت في شبهِ سؤال.

– لا يا ليلى لم أتَزوَّج.. هذه حِكاية طويلة.. وسأرويها لكِ.

وشرَقَتْ روجين بدموعِها، والمعلِّم خليل واقِفٌ في بابِ دُكَّانِهِ يسمَعُ كلامَهُما.

– وهَل أنا منَ النَّوْع الذي ينتظِرُ.. تعالي تعالي. قالت ليلى وقد قرَأتْ فصولَ المُصيبَةِ بسهولة.. دموعٌ وحَقيبَةٌ وحالةُ حَبَلٍ وعُزوبيَّة في آنٍ معًا.

شَدَّتْ ليلى روجين بيَدِها وحاولَتْ أن تحمِلَ حقيبَتَها وَصَدَّتها روجين:

– لا لن أدَعَكِ تحمِلِينَ الحَقيبَة. أذكرُكِ مندفِعَةً وصاحبَةَ نخوَة.

وَصعدَتِ الفتاتان إلى الشُقَّةِ الصَّغيرَة البسيطَة، وجَلسَتا لدَقائِقَ في البَهوِ، وقدَّمَتْ ليلى لروجين كوبًا من عصير الجَزَر ثمَّ قالتْ لها:

– ستأتي نُهاد عمَّا قريب، وأنتِ وأنا نحَضِّرُ لُقمَةً لنا جَميعًا. فشَمِّري عن ساعدَيكِ وتعالي خبِّريني خَبريَّتَكِ معي في المَطبَخ.

وراحَتْ ليلى وروجين تُحَضِّران التَبُّولةَ والبطاطا وعَددًا من أقراص الكبَّةِ المَقليَّة وصَحنًا من الحمّص بطحينة وقليلاً منَ المَكابيس.. وتتحادثان. واستطاعَتْ روجين أن توصلَ فِكرَتَها ومأسَأتَها المُرَّة لليلى بإيجازٍ بليغ. وأدركَتِ الأخيرَةُ عُمْقَ مُصيبَةِ الحَسناءِ التُّركيَّة. وما إن وَضَعتا الطَّعامَ وجَلسَتا إلى المائِدَة وهَمَّتا بالأكل وصلَتْ نُهاد. سمِعَتا صوتَ إغلاقِ البابِ ونُهاد تنادي:

– أنا هنا يا ليلى. أوه! رائِحَة الكبَّة المَقليَّة شَهيَّةٌ طيِّبَة.

– تعالي يا نُهاد نحنُ هنا.. واحذَري مَن هو ضَيفُنا على الطَّعام.

ودخلَتْ نُهاد إلى غرفةِ الطّعام ورأتْ روجين.. وبدا أنَّها لم تَعرفْها في النَّظرَةِ الأولى.

– هل عَرَفْتِها؟ سألتْ ليلى.

وتأمَّلَتْ نُهاد مليًّا في العَينَينِ السَّاحِرَتَين الذَّابلتَين، وأجابَتْ:

– لا! للأسَف.. أعذريني.

– تذكَّري يا نُهاد.. تذكَّري أيّامَ مصنَع الألبسَة. فهَتَفَتْ نُهاد عندئذٍ:

– روجين آتشي!! الفتاة الجميلة!!

وأرادَتْ روجين أن تقِفَ لتُصافحَها وتُعانقَها.. فقالت نُهاد:

– لا تقومي عن الطَّعام يا روجين.

ولكنَّها قامَتْ وتَعانقَتا. وجلسَ النِّسوَةُ الثَّلاث إلى المائدَة يتَحدَّثنَ لساعاتٍ كأنَّهُن يُخبرْنَ كلٌّ واحِدَةٍ قصَّتَها في السَّنوَاتِ الأخيرَةِ من عمرِهِنّ.. وخصوصًا في ويلاتِ ووَهلاتِ الحَرب. أمّا قصَّةُ روجين فقد لمَسَتْ مشاعرَهما، وحرَّكَتْ عقلَهما، وحَفَّزَتِ استِنكارَهما وغضَبَهما على بَيتِ الرَّاسي وابنِهِما المُدلَّل الماجِن غيث. قالت روجين في نهايةِ المَطاف:

– تعرفانِ أنّي وَحيدةٌ في هذه الدُّنيا.. أنا بحاجَة إليكما فلا تتَخلَّيا عنّي. لا أدري ماذا أفعَل وكيفَ أتصرَّف.

– لن نتخلَّى عنكِ يا روجين.. نحن معَكِ قولاً وفِعلاً.. وستتخطَّينَ مِحنتَكِ هذه إن شاءَ الله. قالت نُهاد وهي تمسَحُ دَمْعَتَها هيَ الأخرى. ثمَّ سَألتْ:

– ألا يُساعدُكِ غيث لو اتَّصلتِ به.. مَن يدري؟!

– لا أظنُّ ذلك ولا أعرفُ أينَ هو.. لقد انشقَّتِ الأرضُ وابتَلَعَتْه. لقد خدَمتُهُم بأمانةٍ لسنواتٍ طويلةٍ.. وتخلّوا عنّي في مُصيبَتي مَطرودةً ذليلة! أقسِمُ لن تَمُرَّ فَعلتُهُم بي هكذا.. والأيَّامُ بَينَنا. قالت روجين بصَوتٍ خافتٍ واثق، وفي عَينَيها بريقٌ شاحب.

ثمَّ انتَهى الثلاث من تناولِ الطَّعَام والتَّحليَة، وشَربنَ القهوَةَ، ولم يَستطِعْنَ القيامَ عن الطّاولة. فالأحاديثُ قِطارٌ سَريعٌ يَجُرُّ فيه الحَديثُ رَفيقَهُ بسَلاسَة.. وخُصوصًا جوانبُ واحتِمالاتُ القضيَّةِ المَطروحَة قيدَ البَحث. قالت ليلى:

– إسقاطُ الجَنين.. أو وضعُ الطِّفل بعدَ الولادَة في جَمعيَّةٍ أو مَيْتم.. أو تربيتُهُ بلا أبٍ وَزَواج، فاحتمالُ زواجِكِ يا روجين في هذه الظُّرُوفِ احتمالٌ ضعيف جدًّا.

– لن أسقِطَ طِفلي ولن أتخلَّى عنه. قالت روجين بحَزم.

– وإذًا فالرِّحلةُ أمامَكِ طويلةٌ وشاقَّة يا حَبيبَة قلبي يا روجين. قالت نُهاد واقترَبَتْ من روجين وضمَّتْها إلى صَدرِها.. فشَرقَتْ روجين بدُموعِها.

وفي نهايةِ المَطاف قالت روجين:

– دَعوني أبقَ هنا فأخدُمَكما بلا مُقابل حتى أضَعُ مولودي، وأكونُ لذاكَ الوَقت قد وجَدتُ عَمَلاً ومَبيْتًا لي في مكانٍ ما في بيروت.

وهكذا دامَ التَّباحُثُ في المأساةِ حتى حَلَّ الظّلام. وأخيرًا أذعنَتِ الفتاتان العازبتان المُزمنتان لمَشروعِ الحَسناءِ البائسَة. فبقيَتْ روجين عندَهما خادمةً لهما.. ومَدَّاها بالمال لزيارَةِ الطَّبيبَةِ المُشرفة على تطوُّر مراحِلِ حَبَلِها.. حتى مَرَّتِ الشُّهورُ بسُرعةٍ وجاءَت ساعَةُ الوَضع. ولَّدَتْ روجين في المستشفى الحُكوميّ في العاصمَة على حِسابِ الوزارَة، وأنجَبَتْ صَبيًّا ذَكرًا ذا عَيْنَينِ حُلوتَين كعَينَيها، وأسمَتْهُ مُصطفى، وكانَ نورَ بَهجَةٍ وسطَ ظلمَةِ كآبَتِها الدّامسَة. واستراحَت لثلاثَةِ أسابيع رَيثما استَعَادَتْ نشَاطَها. ثمَّ عادَتْ إلى حَرَكَتِها وخِدمَةِ الفتاتَين في بَيتِهما. وذاتَ مَسَاءٍ قالت روجين لليلى وهما يحسوانِ القَهوَةَ على الشُّرفةِ الضيِّقَةِ فوقَ الشّارعِ المُكتَظِّ الطَّويل:

– ليلى.. يَجبُ أن أجِدَ عَمَلاً في أقرَبِ وَقتٍ وأرحل. كنتما سَنَدًا لي بل أنتُما كأختَيَّ الكبيرَتَين. ولن أستطيعَ أن أرُدَّ لكما هذا الجَميلَ ما حَييْت. ولهذا لا أريدُ أن أجلُبَ لكما المَزيدَ منَ متاعب.

وعندَما استنكرَتْ ليلى كلامَ روجين، واستَوضَحَتْها عن نوعِ المتاعبِ التي تتحدَّثُ عنها الآن.. أجابَتْ روجين:

– الشَابّ مروان جارُكما فوق...

وَصَمَتَتْ صَمتًا لا يَحملُ تأويلاً أو تفسيرًا.

– مروان جارنا!! ما بهِ.. هل قالَ لكِ شيئًا؟!

– لستُ أدري يا ليلى.. هل خَلَقَ جُرْحُ غيث في داخِلي عَقدَةً نَحوَ الرِّجال؟!

وأجابَتْ ليلى:

– لا نعرفُ مروان جيِّدًا، هو جارُنا منذ ثلاثة أشهر فقط. وإذا أزعَجَكِ في شيء سأوقِفُه عندَ حَدِّه.. بل نستطيعُ أن نطرُدَه منَ البناية.

فقالت روجين:

– قرَأتُ في عَينَيهِ أشياءَ كثيرَةً غريبَةً وجريئة.. وهي لَجوجَةٌ ومنذ شُهور! ينتابُني خوفٌ غامض كلَّما نزلتُ وصَعدتُ الدَّرَج.

ولكنَّ روجين أدرَكَتْ بحَدْسِ الأنثى الفاتِنَة والضَّعيفَةِ في آنٍ، والتي تشعرُ أنَّ أنوثَتَها طاقةٌ خارجَة عنِ السَّيطرَة، وسيفٌ ماردٌ نافذٌ إلى قلبِ غريزَةِ الرَّجُل، أنَّ مروان الجَّارَ الشَابّ في الطّبقَةِ الثالثة نُسخَةٌ سالبةٌ عن غَيث. وعرَفَتْ أنَّ غُيُوثًا ومَرَاوينَ كثيرةً سيكمنونَ لها عندَ مُنعطفاتِ الحَيَاة وفي ظلمَةِ أزقَّتِها. وستَكونُ عاجلاً أم آجلاً فريسَةً سَهلةَ المنال.. ما لم تتَسلَّحْ بما يُخيفُ تَذاؤُباتِ الشَّهَواتِ الرُّجوليَّةِ النَّهِمَة. صفعَةُ غيث كانتْ مؤلمةً جدًّا.. بل هي مِديَةٌ شوَّهَتِ البُنيَةَ الأنثويَّةَ الزَّاغبَة في وجدانِها. شرَعَتْ تفتِّشُ عن عملٍ.. وحتمًا ليسَ خادمةً في البُيوت هذه المَرَّة. إلى أن جاءَتْ تلكَ السَّاعةُ المَشؤُومَة التي كانَ سِنْسِر الخَوفِ فيها يستَشعرُها قريبَةً.. وَعَقلُها يَتوَقَّعُها.. وَعَيناها تُرَاقبانِها وافِدةً من بَعيدٍ على دُرُوبِ الوَحشَةِ والقلَق.